نقد مفسّري الإماميّة لعقيدة البنوّة عند اليهود والنّصارى

الباحث
رضا نصر الدِّين قاسم الموسوي
rudan.almosawy@uokufa.edu.iq
الأستاذ الدكتور
علي كاظم جواد سميسم
جامعة الكوفة ـ كلية الفقه

Criticism of Imami interpreters of the doctrine of filiation among Jews and Christians

Researcher
Ridha Nasraddin Qasim al-Mosawi
Prof. Dr.
Ali Kadhim Jawad Smaisim
University of Kufa - College of Jurisprudence

الملخص:-

نقد علماء التفسير من الإمامية عقيدة البنـوّة عنـد اليهـود والنّصـارى، وذلـك انطلاقًا مـن إشـارات القـرآن الكـريم لهـذه لعقيـــدة، فاســـتقرأ الباحـــث في زوايـــا تفاسـيرهم عـن أيّ تحليـلٍ يسـتتبعه تقيـيمٍ وحُكمٍ لتلك العقيدة، لترسم هـذه الدّراسـة ملامح الصّلة والعلاقة بين علـم التّفسير، وعلـم مقارنـة الأديـان. وقـد ظهـر للبحـث امتنـاع إطـلاق هـذا اللفـظ- ابـن الله - وغـيره، مـن دون تصـريحٍ واضـح مـن الشرّع، لما في اطلاقه من مفاسد جمّة. وبيّن البحـث اقتضـاء وجـود سـنخيّة بـين الابـن والأب ليطلـق هـذا اللفـظ، وقـد تبـيّن عـدم إمكانيّة وجودهـا - السـنخيّة - بـين الممكـن الفقير العاجز المحتاج، وبين الواجب الغني المطلق. وكشف البحث - في الجانب النقلي الكتـــابي - اضـــطراب معنـــى البنـــوّة في نصـوص العهـدين، فمـرّة تُريـد بـالبنوّة التّشريف والاعتبار، وأخرى الحقيقة التي لا تقبـل التأويـل والمجـاز، ممـا أفقـد هـذه العقيدة رسوخها، التي يجب ان تتّصف به عقيدة كل ملّة.

الكلمات المفتاحيّة: مفسّري الإماميّة، البنوة الإلهية، اليهود والنصارى.

Abstract:-

This research deals with the criticism of Imami interpreters of the doctrine of filiation among Jews and Christians, to extrapolate in the corners of their interpretations about any analysis that entails an evaluation and judgment of that belief to sort out and study. This study is to draw the features of relevance and interdependence between the science of interpretation and the Comparative science of religions. The research has shown that this term- Son of God- and others is not used without a clear statement from the Sharia, as there are many evils in its use. The research showed the necessity of alveolar existence between the son and the father in order to use this term. It has shown that it has been shown that it is not possible existed- alveolar- between the poor, the helpless, the needy, and the rich and absolute duty. The research discovered the disturbance of the meaning of filiation in the texts of the two testaments, once it means honor and consideration, and another, it means truth that doesn't accept interpretation and metaphor, which made this belief lose its firmness, which must be characterized by the belief of every multitude of people.

Keywords: Imami interpreters, Devine filiation, Jews and Christians.

المقدمة:ـ

فقد تعارف عند العلماء والباحثين، أنَّ ميدان نقد الأديان الأُخر - اليهوديّة والنّصرانيّة خاصّة - محلّها كُتب علم الكلام والملل والنّحل فحسب، وهذا الاعتقاد ثبّطهم في طلب هذا النَّقد في ميَادين أُخر. ولَّما أثار القرآن الكريم بعض عقائد وأفكار اليهود والنّصارى، وجد المفسّرون أنفسهم أمام حقائق قرآنيّة تُعارض الفهم السّائد لأفكار اليهود والنّصارى، مع التّدافع الحضاري بين الأديان عامّة، كلّ ذلك أجبر بعض المفسّرين الدّخول في معترك نَّقد الأديان، دفاعًا عن القرآن من جهة، واقتداءً به في جداله بالتي هي أحسن من جهة أخرى. وزاد دافعهم بعدما انتشرت في العصور المتأخرة، الحركات التّبشيريّة في بلدان المسلمين خاصّة، وجرأتها في نقد الإسلام وكتابه، فضلًا عن التّبشير بديانتهم.

واختار البحث من هذه العقائد، عقيدة البنوة الإلهيّة التي اشتركت في ادّعائها اليهود والنّصارى، على اختلافٍ في مرادها. وقد صرَّح بها القرآن الكريم في آياتٍ كثيرة، مما يُشعرك بمدى تنديد الوحي بها ورفضها، وهذا ما فرض على بعض المفسرين الإمامية دراستها ونقدها بالاحتكام الى معايير العقل مرّة، ومعايير النقل - الكتاب المقدس - مرة أخرى.

المطلب الأوّل

البُنوَّة الإلهيَة في الفِكر اليهوديّ والنصرانيّ

إنَّ مصطلح (ابن الله او ابن الآلهة) كان حاضرًا بقوَّة في الأديان الوثنيّة القديمة، فمن سَبَرَ أغوارها يجد أنَّها تتطابق فيما بينها، وكأنَّ الأمر تواصَوا به، وتوارثوه!

فهذا (أبولو) المدفون في (دلهي) أطلقَ عليه الهنود (ابن الله) البِكر. ونجد الكلدانيّون من قَبلُ عظَّموا (فو لو) الَّذي كان يُدعى بـ (الكلمة)، ووصفوه بأنَّه الكائن قبل كل شيء و(ابن الله) البِكر. كما أنَّ الآشوريين كانوا يَدعون (مردوخ) الكلمة، ويَدعونه (ابن الله) البِكر. وهكذا الرومان فقد لقبوا (روميوس) مؤسس روميّة (ابن الله)[1].

ولو عرجنا الى الحضارة الساميّة القديمة، نرى أنهم كانوا يطلقون على الكاهن (ابن الله)، ويتماهى معه، فهو العابد الرئيس للإله، ونائبه، وابنه، وإنه عَبرَ إلفتهِ الحميمة مع

الإله، من المفترض أن يكون عليمًا بأسراره[٢].

وأمّا المتتبّع لمصطلح (ابن الله أو أبناء الله) في الفِكر الدّيني اليهوديّ، يَلمس أنّه "تعبيرٌ أو مصطلحٌ وصفيّ مجازيّ شاع استعماله فيما بين اليهود"[٣]على سبيل الاستعارة، والتّشريف للمُلَقّب به. فقد أطلق اليهود مصطلح "ابن الله" على ملكهم. وهم لا يُريدون المعنى الحقيقيّ للّفظ؛ أيّ: أنّ الولادة تمت جسديًا، بل هو اختيارٌ وتبنّي، حتّى أنّ جميع ملوك إسرائيل يقال لهم (أبناء الله) [٤]. بل شمل هذا المصطلح الشّعب اليهوديّ جميعًا[٥]. ولو تتبعنا نصوصهم الدينيّة لوجدنا حضور هذا المصطلح الى حدّ الإستفاضة[٦]. فمن ذلك ما جاء في سفر التثنية قوله: "أنتم أبناء الرّبّ إلهكم..."[٧]. وفي سفر الخروج:"... هذا ما قال الرّبّ: إسرائيل ابني البِكر."[٨]. وغير ذلك من شواهد [٩]. ونخلص من كلّ ما تقدّم أن مصطلح (ابن الله) عند جماعة اليهود، لم يكن غريبًا عن أدبيّاتهم، وأعرافهم، وكانت لا ترى بأس أن تتسمّى به، بل كانت تراه خاصًا بها، وصادرته عن بقية الشّعوب الأُخر.

وأمّا عند النصارى فهو أشهر من نار على علم، فعيسى مُجمع على بنوّته لله تعالى، والبنوّة هنا من جهة لاهوته لا من جهة ناسوته، وبذلك يكون مساويًا للآب في الألوهيّة والجوهر[١٠]!. ولا يعتقد النصارى أنّ البنوّة مسألة اعتباريّة لغرض التّشريف، بل هي حقيقيّة، تفرّد بها المسيح لِما يمتلك من طبيعة إلهيّة خاصّة[١١].

ولا يُفهم من البُنوَّة المعنى الحرفيّ (الولادة الجسديّة التناسليّة)، الّتي تقتضي وجود الزّوجة والولادة الطّبيعيّة وما يلازمها، بل هي كقولنا: (فلان عربي ابن عربي) فإننا نريد أن نؤكّد أصالة العروبة في هذا الشّخص أيّ: أنه عربيّ حقًا. وعلى هذا القياس فقولهم (المسيح ابن الله) هو تأكيد أنّ المسيح من جهة طبيعته اللاهوتية هو من طبيعة الله حقًا.[١٢]. وقد وظّف النصارى كثيرٍ من الآيات الإنجيلية، لإثبات هذا المدّعى لعيسى عليه السلام[١٣]، بل إن عبارة (الابن) في الكتاب المقدّس بعهديه - بحسب البابا شنودة الثّالث - تعنى المسيح وحده، فالمسيح كان يتحدّث عن نفسه باعتباره الابن، وابن الله[١٤].

ويميّز لنا بعض النصارى بين البُنوَّة العامّة الّتي تَشمل كلّ من يستحقها من الأنبياء، والصّالحين والنّاس جميعًا[١٥]، وبين البُنوَّة الخاصّة الّتي نسبوها الى عيسى بما يُفهم منها لاهوته، وأنّه مُعادل لله[١٦]؛ فالأولى كانت معروفة، وشائعة بين اليهود - كما تقدّم - والثّانية

- على فرض صحّة النّقل والادّعاء - كانت غريبة عنهم لأنّها تمس جوهر التّوحيد الّذي يدينون به. وهذا ما يدعونا أن نُفسِّر الاستغراب الحاصل من رئيس الكهنة آنذاك، الذي جَعل منها - القول بالبُنوَّة الخاصّة - ذريعة لاتهام عيسى عليه السلام بالتّجديف - أي الكفر والابتداع-[١٧]، مع شُيوع مصطلح البُنوَّة في كتب اليهود المقدّسة.

وبذلك نستنتج أن البُنوَّة في الفِكر الدّينيّ اليهوديّ غير ما يصطلح عليه في عقائد النّصارى، فاليهود يسمحون بذلك إذا كان يراد منها البُنوَّة الاعتبارية لغرض التّشريف والتّمييز، ولا يسمحون بها مطلقًا إذا ما أُريد منها البُنوَّة الحقيقية الّتي تساوي المسيح بالله تعالى، وهو ما تعتقده النصارى.

المطلب الثاني

نظرة القرآن الكريم لمقولة البنوَّة الإلهيَّة

نقد القرآن الكريم بقوة هذه العقيدة الوثنيّة، في أكثر من عشرين آيةٍ مباركة، ممَّا يُشعرك بمدى تنديد الوحي الإلهي بعقيدة البنوَّة، الّتي تغيِّب روح التّوحيد الّذي دعا إليه كلّ الأنبياء والمرسلين[١٨].

توزّعت تلك النُّقود القرآنيّة على مجموع سُورٍ مباركة. منها: (البقرة، الأنعام، مريم، المائدة، الأنبياء)، وغيرها، إذ مرّة يستعمل لفظ (الابن) وأخرى (الولد).[١٩] وسيورد الباحث بعض هذه الآيات المباركة، لبيان أسلوب القرآن الكريم في نقد هذه العقيدة.

١- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[٢٠] والقائل - هنا - اليهود والنصارى، والمشركون[٢١]، تأثّرًا باليونانيّين وغيرهم، والبراهمة، والبوذيين، إذ جعلوا زعماء ديانتهم آلهة، مولودين من الله تعالى وتقدّس[٢٢].

وذهب بعض المُفسّرين بأنَّ "أوّل ما قالوها - اليهود والنصارى- تشريفًا لأنبيائهم كما قالوا: نحن أبناء الله، وأحباؤه، ثُمَّ تلبَّست بلباس الجدّ، والحقيقة، فردَّ الله سبحانه عليهم في هاتين الآيتين، فأضرب عن قولهم بقوله ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٢٣]، لذا لا يجوز استعمال لفظ معناه الحقيقيّ مُحالًا ومعناهُ المجازيّ ممكنًا، إذا كان المجاز سَيحلّ تدريجيًّا محلَّ الحقيقة، ويُحرَّم الإقدام على هذا الأمر مع التّنبّه لذلك، وإلا فالمرء في ذلك معذور.[٢٤]

وقد نقد القرآن الكريم هذا القول، بقوله (سبحانه). والسُّبحان هو أحد أسماء الجلال الخاصّة بالله (عزوجل)،"فالله هو سُبحان وسُبوح، والسُّبحان لا يتخذُ ولداً أبداً. إذن فالله لن يتّخذ ولداً على الإطلاق."[٢٥].

٢- قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾[٢٦].

نُقل عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وابن عباس أنَّ القائل - عزير ابن الله - جماعة من اليهود، جاءوا إلى النّبي صلى الله عليه وآله، منهم (سلام بن مشكم)، و (نعمان بن أوفى)، و (شاس بن قيس)، فقالوا ذلك[٢٧]. وهو ما يدلّ على شُيوع هذا اللّقب - ابن الله - بين يهود الجزيرة العربية - على الأقل - وإلا لكان هذا الادعاء يكفي وحده في صدّ دعوة النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وتكذيب ما جاء به القرآن من حقائق، يجزم بصدقها، وواقعيّتها. وعزيرٌ هذا هو نفسُهُ (عِزرا)، وقيل غيره[٢٨]، ويُلقّب بالكاتب، وعزرا اسم عبريّ معناه (عون)[٢٩]، والاسم نشأ كاختصار لاسم (عزريًا)[٣٠].

وعدَّه اليهود المتأخرون عنه، زعيمًا لهم بعد موسى عليه السلام، الَّذي أخرجهم من مصر، ويعدّونه أيضًا مؤسس نظم اليهوديّة المتأخرة، (الَّتي وُضعت في القرن الخامس قبل الميلاد)، ولقّبوه بالكاهن، لأنه كان دارسًا مجتهدًا، ومفسّرًا عميقًا لوصايا الله، وعهده لبني إسرائيل.[٣١] وعليه فلا غرابة أن يُسمي اليهود عزيرٌ (ابن الله)، فهم يعتقدون - بحسب التَّوراة - بأكثر من ذلك، أَنهم جميعًا "أبناء الله"[٣٢]. وقد تقدم ذلك كلّه. وزيادة على ذلك، فإنَّ كتاب رؤيا عزرا اليونانية - وهو من كتابات ما بين العهدين-، يشرح لنا في بعض منازله أن الله تعالى، يخاطب عزرا مخاطبة الأب لابنه! فقال الله له:" اسأل أباك إبراهيم عن ابن يرافع ضدَّ أبيه"[٣٣]. ويفهم من النص أنَّ عزرا الَّذي له المقام العليّ السامي فكان ابن الله أو بمقامه ومنزلته، وهنا يراد منها، البنوّة الاعتبارية التشريفية[٣٤].

ونخلص ممّا تقدم أنَّ اليهود كانت تُطلق على العزير او عزرا ابن الله، وذلك تشريفًا له وإعظامًا لشأنه، بل شملت هذا اللقب جميع أفراد بني إسرائيل، وذلك أيضًا على سبيل التّشريف والاعتبار. أمَّا عيسى عليه السلام فلا نحتاج استقصاء في اثبات هذه النّسبة،

فجميع كتبهم المقدّسة، وفِرَقهم تشهد بالبنوّة للمسيح عليه السلام، وهذه البُنوّة على سبيل الحقيقة، فهو - عيسى عليه السلام - من طبيعة الله تعالى في شطره اللّاهوتي.

ويظهر لنا أنَّ جذور هذا الادعاء يهوديَّة بحتة، وإلّا فالنّصارى - كما هو معلوم- هم فرقة يهوديَّة مُهرطقة - بنظر اليهود - وبذلك فاليهود كان دأبهم أن ينسبوا الى الرّبِّ أبوَّة مدّعاة[٣٥] . وبذلك تبيّن لنا أنَّ اليهود والنصارى تدَّعي البُنوَّة لله تعالى، وهو ما صرَّح به القرآن الكريم في طيَّات آياته المباركة ونقده نقداً لاذعاً.

المطلب الثالث

نقد مُفسّري الإماميَّة لعقيدة البُنوَّة لله تعالى

استقرأ الباحث في هذا المحور نكات النّقد في تفاسير الإماميَّة، فوجدها غنيّة، وعميقة تتناسب مع العُمق المعرفي الَّذي حظي به مُفسّري الإماميَّة قديمًا وحديثًا. ويمكن تصنيف تلك النُّقود الى نقود عقليّة، وأخرى نقليَّة:

أوّلًا: نقد عقيدة البنوَّة الإلهيَّة بالأدلَّة العقليَّة.

يدور النّقد عند مُفسّري الإماميَّة، مع ما قرره القرآن الكريم، لمقولة اليهود والنّصارى في مسألة البنوَّة لله تعالى، مع ملاحظة أنَّ النقد القرآني مرتبط بزمانٍ مرَّ عليه أربعة عشر قرنًا، حيث كانت كثير من عقائد اليهود - والنّصارى في الغالب - تختلف عمّا هي عليه اليوم، نتيجةً لتفاعل معتقداتهم مع البيئات الثّقافيّة الَّتي انتشروا فيها، فـ"التّطور الَّذي شهده الإيمان المسيحي، إنّما حصل في إطار عام، تبلور بسرعة نسبيّة، إثْرَ نهاية حياة المسيح، وتعلَّقَ بإلوهية عيسى، وبالثالوث."[٣٦] وهذا ما جعل بعض مُفسّري الإماميَّة يعتقد - وهو يعلّل تغيّر عقائد نصارى اليوم عن نصارى عصر النُّزول - بأنَّ النّصارى كانت ترى البنوَّة الحقيقية لا المجازيّة، ويُرجّح ذلك التّغيّر العقدي الى الاحتكاك الكبير مع المسلمين؛ لأنّهم - المسلمون - كانوا يتنفَّرون من المعنى الحقيقي الممتزج بالشّرك، ولذا غيَّرَ - النّصارى - نبرتهم في الأوساط الإسلاميّة، ووجَّهوا كلامهم بأنّه نوع من التّشبيه، والمجاز[٣٧].

ولو رجعنا الى القرآن نفسه لوجدنا ما يؤيد ذلك، ففي قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا﴾[٣٨].

وهذا القول في الآية الشّريفة لا يمكن أن يكون للتّشريف فقط، لما في الآية - كما هو واضح - من حدّةٍ كبيرةٍ في الخطاب القرآني، وهو ما يتناسب وكونهم نسبوا الولد لله تعالى وتقدّس على نحو الحقيقة والجدّ [٣٩]، باشتمال الولد - المسيح - على جوهر والده! - وتقدّم بيانه-، ولم يكن اهتمام القرآن بهذا القدر، لكلمة تفهوّه بها بعضهم على جهلٍ؛ "وإنّما هي على هذا الشّرك الّذي أصبح دينًا، وعقيدةً، تُدين به مئات الملايين جيلًا بعد جيل"[٤٠] .

ركّز المفسّرون - الإماميّة - في نقودهم لعقيدة البُنوّة عند تفسيرهم للآية المباركة: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[٤١]؛ لأنّها تعدُّ الآية الأولى الّتي ذكر فيها القرآن الكريم هذه المقولة الوثنية. فهذا الشّيخ الطّوسيّ انطلق منها - وتبعه الشّيخ الطّبرسي[٤٢]- واستدلّ بها على استحالة الولد له سبحانه؛ " لأنّه إذا كان جميع ما في السماوات والأرض مُلكًا له، فالمسيح عبدٌ مربوب، وكذلك الملائكة المقربون، لانّ الولد لا يكون إلا من جنس الوالد، ولا يكون المفعول إلا من جنس الفاعل، وكلُّ جسم فعلٌ للّه، فلا مثل له، ولا نظير على وجه من الوجوه."[٤٣] وبذلك فالشيخ الطوسيّ نبّه في لزوم السنخيّة في البنوّة، وهو ما يفرضه العقل والواقع، وهذا ما ينطبق تمامًا مع صفات المخلوق وليس الخالق!

وأمّا السّيّد الطّباطبائي فقد حدّد - وتبعه السّيّد عبد الأعلى السّبزوَاريّ[٤٤] - برهانين ينفي كلٌّ منهما الولادة، وتحقّق الولد منه سبحانه وتقدّس.

فالأول: إنّ اتخاذ الولد "هو أن يجزي موجود طبيعي بعض أجزاء وجوده، و يفصله عن نفسه، فيصيّره بتربيّة تدريجيّة فرداً من نوعه مماثلًا لنفسه، و هو سبحانه مُنزّه عن المثل، بل كلّ شيء ممّا في السموات والأرض مملوكٌ له، قائم الذّات به، قانت ذليل عنده ذلّة وجوديّة، فكيف يكون شيء من الأشياء ولداً له مماثلًا نوعيًا بالنّسبة إليه؟"[٤٥].

والثاني: أنه سبحانه بديع السموات والأرض، "إنما يخلق ما يخلق على غير مثال سابق، فلا يشبه شيء من خلقه خلقًا سابقًا، و لا يشبه فعله فعل غيره في التّقليد والتّشبيه ولا في التّدريج، و التّوصل بالأسباب إذا قضى أمرًا فإنّما يقول له كُن فيكون من غير مثال سابق ولا تدريج، فكيف يمكن أن ينسب إليه اتخاذ الولد؟"[٤٦].

وممّا تقدّم يثبت لنا - بنظر المفسّرين وغيرهم - أنَّ كلّ الحقائق القرآنيّة، سيما الّتي تخصّ نقد الأديان الأُخر، تكون دائمًا مؤيدةً بالعقل، ولا يخالفها البتة، وبذلك فالمفسّر النَّاقد يتميّز عن غيره، من خلال مزاوجته بين النَّقد القرآنيّ، والنَّقد العقليّ، الَّذي لا يتخلف أحدهما عن الآخر(٤٧).

وفي شأن بنوّة (عزير) القرآني، فقد فرَّق السّيّد الطباطبائي بينها، وبين تلك البُنوَّة الَّتي يؤمن بها النصارى في عيسى عليه السلام، وإنما كانوا يسمونه (ابن الله) كما يسمون أحبارهم ابناء الله، وقد خصَّوه بالذكر وحده شكرًا لإحسانه اليهم (٤٨).

ومن أجْلَى ما تُنقض به مقولة البُنوَّة التشريفيّة، هو امتناع إطلاق هذه التسمية - ابن الله - على الله تعالى من دون ورودها شرعًا، - وإن لم يمنع من اطلاقها عقلًا-، وذلك "لتوقيفيّة أسماء الله سبحانه لما في التّوسع في إطلاق الأسماء المختلفة عليه تعالى من المفاسد. وكفى مفسدة في إطلاق الأب، والابن ما لقيته الأُمتان: اليهود والنّصارى، وخاصّةً النّصارى من أولياء الكنيسة خلال قرون متمادية، ولا يزال الأمر على ذلك."(٤٩) وسيتناول الباحث حقيقة ورودها في نصوصهم المقدّسة، ومدى تطابقها مع ادعائهم - وسيأتي بيانه -

واختار السّيّد عبد الاعلى السَّبزوَاريّ أن يسلك منهجًا مغايرًا في نقده مقولة البنوَّة. فقد اعتمد الأساس الفلسفي والكلامي طريقًا لذلك، فمنه دليل عدم المجانسة بين الله تعالى ومخلوقاته(٥٠)،فـ" مُوجِد العوالم، ومربّيها، لا سنخية بينه، وبينها، إذ لا سنخية بين الممكن بالذّات والفقير المحض ،وبين الواجب بالذّات والغنيّ المُطلق كذلك."(٥١) إذ السّنخيّة إنّما تَصح في العلل الطبيعية، كتوليد النَّار للحرارة. و أمَّا الفاعل المختار القدير فلا وجه لذلك فيه. "فلو فرضنا له ولدًا لكان مشاركًا له من بعض؛ ومن ذلك: أنه ليس له أول ولا آخر، أيّ قديم أزلي، وأن له قدرة يوجد بها أو يعدم، وإرادة يخصص بها فهذه كلّها أوجه مشاركة. ... وعلى هذا فينتفي موضوع الولد له تعالى رأسًا، لأنّه مستلزم للسنخية والمجانسة، وهي ممتنعة بالنسبة إليه."(٥٢)، فالسّيّد السَّبزوَاريّ هنا ألزم أصحاب عقيدة البُنوَّة، بأنَّ هذا الولد المدَّعى لابدَّ وأن يكون من جنس الوالد؛ لأنه من الثّابت ضرورةً، أنّ كلّ مولود يشبه والديه في بعض الوجوه، ويمتاز عنهما في وجوه أُخر.

وناقش الشيخ محمد الصادقي فكرة البُنوَّة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ

وَكَدِ سُبْحَانَهُ﴾[٥٣] ،ولغرض اثبات استحالة تلك العقيدة تكوينًا، - والتكوين هنا بنظر الشيخ الصّادقي هو إيجاد لا من شيء، لا من لا شيء، كما أنّه هناك ايجاد من شيء - قسَّم الأشياء بجنب الإرادة التكوينيّة الى ثلاثة[٥٤]: فالأولى: لا شيء بالفعل، و بالإمكان أن يوجد شيئًا، فبعلاقة الأوّل يسمّى قبل شيئه شيئًا. والثانية: لا شيء، و لا يمكن في المصلحة الإلهيَّة أن يوجد شيئًا، فبعلاقة الإمكان يُسمّى شيئًا. والثالثة: شيء، يجوز تحويله الى غير شيئه عاديًا، او خارقًا للعادة، و هو الشيء حقيقة. "وأمَّا المستحيل ذاتيًا، فليس يسمّى شيئا حتَّى تتعلق به القدرة، والله تعالى القدير في تلكم الثلاث، لا على اللاشيء، الَّذي لا يستحق الشيئية، و لا تمكن فيه ذاتيًا! "[٥٥].

وممَّا تقدم، فالحاجة الى الولد، مستحيلة على اللّه، إذ لا أجزاء له. وهكذا اتخاذ الولد خروجًا عن الوحدة، مستحيلة لعدم الحاجة، فلماذا يتخذ ولدًا سبحانه، و هو مستحيل على ساحته ذاتيًا و في صفاته و أفعاله؟ والله تعالى يقول : ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[٥٦].

وأرجع الشّيخ ناصر مكارم الشّيرازيّ عقيدة البُنوَّة لله سبحانه، الى سذاجة فكريّة، قائمة على أساس مقارنة كلّ شيء بالوجود البشريّ المحسوس والمحدود[٥٧]. وحدّد الشّيخ الشّيرازيّ، وغيره[٥٨]، لوازم عقليّة فاسدة لعقيدة البُنوَّة، تنافي قداسة مقام الألوهيّة لله تعالى، فهي من جانب تستلزم الجسميّة، ومن جانب آخر المحدوديّة، و من جهة ثالثة الاحتياج[٥٩].

وممَّا يستحقّ التّوقف عنده هو ما انفرد به الشيخ جوادي الآملي، حول منشأ التّوهم عند اليهود والنّصارى في قولهم بالولادة لله أو اتخاذه الولد، هو "ميلهم نحو التّأثّر بمتشابهات الكُتب السَّماويَّة واتّباعها من دون إرجاع المتشابه الى مُحكم التَّوراة والإنجيل"[٦٠].

ويقول الشيخ الآملي: " إنّ إطلاق نعت (أبناء الله) على نفرٍ من أولياء الله في بعض الموارد، أو استخدام عنوان (الأب) بالنّسبة لله (عزّ وجلّ) في بعض الآيات، ليس هو من سنخ البنوَّة والابوَّة التكوينيّتين والإنتاجيّتين، ولا هو من قبيل اتخاذ الولد، وتبنّيه ممّا كان شائعًا في ذلك الزمان."[٦١].

وهذا التّوهم الناشئ، وإن كان هو الأقرب لفهم طبيعة دخول هذا المصطلح إلى الفِكر

الدّينيّ اليهوديّ والنصراني، الا أنَّ الشيخ الآملي لم يبين لنا ما هي المتشابهات والمحكمات في تلك الكتب المقدسة، وهل يقصد بها الرائجة في عصرنا ممَّا في أيدي اليهود والنصارى أم تلك الَّتي كانت أيام نزولها على النبيّين موسى وعيسى عليهما السلام وحُرّفت فيما بعد؟ والأمر لا يعدو كونه افتراضًا يحتاج الى دليل.

ويعتقد الباحث أنَّ هذا المصطلح دخيلٌ على الكتب الإلهيَّة المقدسة، ووجوده فيها في زمن كتابتها، يرجع الى ثقافة الكتبة الذين تأثروا بمحيطهم الوثني(٦٢)، ولربما لكي يُزيدوا مقبوليّتها عند عامة النَّاس، بما تعارف عندهم من مصطلح البنوَّة للإله والآلهة. (٦٣)

ونخلص بالقول بأنَّ هذه الفكرة متناقضة أساسًا إذ يرفضها العقل تمامًا. وزيادة على ذلك فقد نسفها القرآن الكريم في آية واحدة حينما يقول: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾. ومن جانب آخر فهي - عقيدة البنوة - إحدى مظاهر الشرك في ذات الله تعالى، لأنّها تصوّر حقيقة الإله الواحد في صورة آلهة متعددة. ويقوم (التثليث) النصراني في الحقيقة على هذا الأساس، أيّ على أساس اعتبار المسيح ابنًا للَّه سبحانه. وممَّا تقدّم تبيّن لنا عدم صمود هذه البنوَّة المزعومة لله (تعالى وتقدّس)، أمام العقل، والنظر، والعقيدة الَّتي لا تصمد أمام العقل جديرة ألا تُتّبع.

ثانيًا: نقد عقيدة البنوَّة الإلهيَّة بالأدلَّة النقليَّة.

تتبّع الباحث علماء الحركة النقدية من مُفسّري الإماميَّة، فوجد أنَّ الشّيخ البلاغيّ، والسّيّد الطباطبائي كان لهما الحضور الأبرز في الولوج الى كتب العهدين، للبحث عمّا يُنقض دعوى اليهود والنّصارى في مقولة البُنوَّة لله تعالى، الا أنَّ الشيخ البلاغيّ كان له قصب السّبق في ذلك فهو بحق المدار الَّذي نَهل من أبحاثه في مقارنة الأديان، جلّ مَن أتى بعده من علماء الإماميَّة، وغيرهم.

وفي أثناء دراستي لنتاجاته العلمية، وفي موضوع البُنوَّة خاصّة، يمكنني أن أُقسّم جهوده النقدية لهذه العقيدة على جانبين:

الجانب الأوّل: اضطراب معنى البُنوّة بين الحقيقة والاعتبار

عندما درس الشيخ البلاغي نصوص الكتب المقدسة في الديانة الإسرائيليّة والديانة

النصرانيّة معًا. ومنها أدلّتهم النقليَّة لتأصيل عقيدة البُنوَّة لله، وجدها - بحسب تعبيره - مضطربة المبدأ، قلقة الكلام، في بيان معنى البُنوَّة، والولادة من الله ."فتارة يلوح منها أنّها تُريد بالبنوّة لله والولادة منه جائزًا وإن تشوّهت عبارته بسخافة المبالغة، تُريد بذلك محض ارتباط الملّة، أو الشّخص بالإيمان والتّوحيد والصّلاح، وامتيازه بذلك عن البشر، فتشير بذلك إلى امتياز هؤلاء، بالارتباط بالله بالإيمان، وصلاح الطّاعة، كامتياز الولد بالارتباط والانقياد لأبيه، وشرف مكانه عند الأب."[٦٤] وهذا المعنى الّذي يريده الشيخ هو ما يُطلق عليه بالبُنوَّة الإعتباريّة - التّشريفيّة - الّتي تُعطي للولد المنزلة الرفيعة، والدّرجة الحميدة لدا الأب.

وتارة أخرى ما تقول به التّقاليد الوثنيّة بنحو من التّأليه، الّذي لا يقبل إصلاحه بروح التّأويل، بمعنى البُنوَّة الحقيقية لله تعالى.

وهنا ساق الشيخ البلاغي أدلَّة كتابيّة تُثبت ما استنبطه، وهي على النّحو الآتي:

١- شواهد كتابية في معنى البُنوَّة الاعتبارية - التّشريفية - [٦٥].

أ. ما يُحكى عن قول الله في شأن بني إسرائيل في التَّوراة في سفر الخروج. قوله: "فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ. فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي، فَأَبَيْتَ أَنْ تُطْلِقَهُ. هَا أَنَا أَقْتُلُ ابْنَكَ الْبِكْرَ."[٦٦].

ب. وما يُحكى عن المسيح في شأن المؤمنين الصالحين من قوله: "طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يُدعون." [٦٧]. وهكذا المتتبع لأسفار العهد الجديد يُلاحظ كثيرًا ما تُسمي بعض مؤمنيهم ب"أولاد الله "[٦٨].

٢- شواهد كتابية في معنى البُنوَّة الحقيقية الّذي لا يقبل روح التأويل[٦٩].

أ. ما ورد في سفر إشعياء قوله: "لأنّه يولد لنا ولد ونعطى ابنًا وتكون الرئاسة على كتفه، ويدعى اسمه عجيبًا مشيرًا إلهًا قديمًا أبديَ.."[٧٠].

ب. ما صرح به انجيل يوحنًا، فيما قاله اليهود للمسيح: "نرجمكَ لأجل تجديف، أيّ لأجل أنّك تتكلّم بالكفر والشرك، فإنّك وأنت إنسان تجعل نفسك إلهًا. فقال يسوع: أليس مكتوبًا في ناموسكم: أنا قلت إنّكم آلهة. إن قال آلهة لأولئك ولا يمكن أن ينقض المكتوب فالذي قدّسه الأب أتقولون له: إنّك تجدّف - تكفر وتشرك -

قلت: إنّي ابن الله."[٧١].

وهذا الكلام الغريب في حق عيسى عليه السلام جعل الشّيخ البلاغيّ يعلق بقوله:" فانظر إلى هذا الكلام وتعليمه السخيف بتعدّد الآلهة، واحتجاجه التحريفي الواهي، فإنّه ينادي بأنّ المراد من ابن الله هي النبوّة والوثنيّة الإشراكيّة."[٧٢] ويمكن أنّ نجد في النّص أعلاه دلالة أخرى، تخالف من استدلّ به الشيخ البلاغي، فالسّيد المسيح هنا حاول دفع التّهمة عنه بكونه ابنًا لله تعالى، الذي يقتضي المساواة مع الأب في الألوهيّة، وقد أراد عليه السلام، أن يثبت البنوة التشريفية على ما موجود في كتب اليهود، والمعروف في أدبياتهم. وممّا تقدّم نقف على ذلك الاضطراب في معاني البُنوّة في نصوص العهدين، مما يفقد الأساس النقلي الذي يستدلّ به النصارى، لتكون البنوة عقيدة غير راسخة، ومضطربة المبدأ، وهذا ما لا يمكن وجوده في عقائد ملّة من الملل، لما ينفّر أهلها منها، ويُقوّض شرحها، ونشرها بين النّاس جميعًا.

الجانب الثاني: نقد استدلالات النّصارى النقليّة في إثبات عقيدة البُنوّة لله.

انتقى الشيخ البلاغيّ مجموعة شواهد كتابية اتكأ عليها النصارى لإثبات هذه العقيدة، وبدأ نقدها، وهدمها، بأدلّة كتابيّة أيضًا. فمن ذلك:

١- استدلالهم بقول إنجيل متى: "وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلًا: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ."[٧٣] .

وهذا النص - بحسب العلامة البلاغي - ومن أثناء اصطلاحات العهدين، لمفردة "الإبن" فإنّه لا يدلّ الا على أنّ المتّصف به مؤمنٌ مفضّلٌ ومحبوب، ولكنّه لا يبلغ فضل الابن البِكر، وهم بنو إسرائيل![٧٤]. تقول التّوراة: "أَنْتُمْ أَوْلاَدٌ لِلرَّبِّ إِلهِكُمْ."[٧٥].

٢- استدلالهم بقول بولس الرسول، بقوله: "لأَنَّهُ لِمَنْ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ قَالَ قَطُّ: "أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ"؟ وَأَيْضًا: "أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا وَهُوَ يَكُونُ لِي ابْنًا ؟"[٧٦] وهذا الاقتباس الّذي وظّفه بولس الرسول ومن بعده آباء الكنيسة، وهو الفقرة الأولى من النص المتقدم، قد جاءت في المزمور الثاني ما نصه:" إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ: قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. "[٧٧] وهي لا تنطبق على المسيح، كما يحاول أن يسوقه النّصارى. ويوعز الشّيخ البلاغيّ سبب ذلك الى أنّ "ولادته بأيّ نحو كانت،

لم تكن في اليوم الَّذي كُتب فيه هذا المزمور، أو أوحيَ على زعمكم، لأنَّ ولادات المسيح عندكم دائرة بين الولادة الأزلية، أو الولادة الكائنة في بيت لحم، أو الَّتي عند اعتماده من يوحنَّا بعد ثلاثين سنة من عمره الشريف!"(٧٨).

وأمَّا الفقرة الثانية - المتقدّمة - فقد نطق بها العهد القديم بقوله:" "أَنَا أَكُونُ لَهُ أَبًا، وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا. إِنْ تَعَوَّجَ أُؤَدِّبْهُ بِقَضِيبِ النَّاسِ، وَبِضَرَبَاتِ بَنِي آدَمَ."(٧٩). فيذهب الشيخ البلاغي(٨٠) بأنَّ المقصود من المقولة المتقدمة، نبي الله سليمان بن دواود وليس عيسى عليه السلام!. إذ سمى (صموئيل الثاني)(٨١) و (الأيام الأوَّل)(٨٢) سليمان بالابن.

٣- وجاء في إنجيل يوحنَّا، بقول المسيح عليه السلام وهو يطلب من الأعمى الَّذي شفاه أن يؤمن ببنوَّته لله. بقوله: "فَسَمِعَ يَسُوعُ أَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ خَارِجًا، فَوَجَدَهُ وَقَالَ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللهِ؟ أَجَابَ ذَاكَ وَقَالَ: مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لأُومِنَ بِهِ؟ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: قَدْ رَأَيْتَهُ، وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ .!فَقَالَ: أُومِنُ يَا سَيِّدُ!. وَسَجَدَ لَهُ." (٨٣). وقد ردَّ الشيخ البلاغي هذا التأويل، وذهب أنَّه" لو صح هذا الكلام عن المسيح - وأنّى - لما عدا أن يكون جاريًا، على اصطلاح العهدين، من تسمية المؤمن الصالح بابن الله."(٨٤).

وأمّا السّيّد محمد حسين الطباطبائي، فقد وضع مجموعة النَّصوص النّافية للبنوّة الحقيقيّة في مواجهة النَّصوص الأُخر الَّتي تؤدّي الى البُنوَّة الحقيقيّة المزعومة، وبذلك ألزم النصارى بتأويل البُنوَّة الواردة، وصرفها عن معناها الحقيقي الى المجازي او تلك البنوَّة و الأبوَّة، الَّتي تؤدّي إلى الاتحاد بين الآب والإبن أيّ: بين الله (تعالى وتقدس)، وبين عيسى عليه السلام(٨٥). ومن تلكم الشّواهد من الكتاب المقدس(٨٦) الَّتي تصرّح بالبنوّة على نحو التشريف والتبريك(٨٧):

١- وقوله:" فليضئ نوركم قدام النَّاس ليروا أعمالكم الحسنة و يمجدوا أباكم الَّذي في السماوات"(٨٨).

٢- وقوله أيضا: "لا تصنعوا جميع مراحمكم قدّام النَّاس كي يروكم فليس لكم أجر عند أبيكم الَّذي في السماوات"(٨٩).

وتبين لنا أن الأمثلة المتقدّمة، تُطلق لفظ الأب على الله تعالى والبُنوَّة بالنسبة إلى عيسى وغيره جميعًا، كما رأينا بعناية التشريف، ونحوه، وهو الهدف الَّذي ابتغاه السّيّد

الطباطبائي. وأمّا الموارد الكتابية الأُخر الّتي تعطي هذه البنوّة والأبوّة نوع من الاستكمال المؤدي إلى الاتحاد، فينقل السّيّد الطباطبائي[٩٠] مجموعة نصوص تؤيد ما ذهب إليه. منها .

١- قوله عليه السلام: "لكني خرجت من الله و جئت و لم آت من عندي بل هو أرسلني»[٩١]. و قوله: "أنا وأبي واحد نحن."[٩٢].

وبذلك حاول السّيّد الطباطبائي تحييد فكرة البُنوّة الحقيقية الّتي تعني: أنّ عيسى عليه السلام وُلد من جوهره تعالى، وأنّه انبثق منه كولادة أزليّة!، واستدلّ من خلال النّصوص الإنجيلية أنّ البُنوّة هنا اعتباريّة، تشريفيّة، غير حقيقيّة، وإن تَحوم حول تلك النّسبة - التّشريفيّة - مجموعة لوازم عقديّة تمس ذات الله تعالى، وصفاته ذكرها السّيّد في تفسيره. وقد تقدم ذكرها في الأدلّة العقليّة من نقد البُنوّة.

الخاتمة:ـ

تحصّل للبحث مجموعة نتائج، منها:

١- إنّ عقيدة البنوّة لله تعالى، قد عُرف معناها التّشريفي والاعتباري عند اليهود عامّة، كما نجد ذلك في ادعائهم عزيرٌ ابن الله، أو اليهود أبناء الله تعالى. وأمّا معناها الحقيقي؛ فعُرف عند النصارى خاصّة، فعيسى ابن الله بمعنى من جوهره وذاته!

٢- ندّد القرآن الكريم بهذه المقولة في أكثر من عشرين آية، وهو ما دفع مفسّري الإماميّة الى تسليط الضوء عليها ونقدها نقداً عقليًا ونقليًا.

٣- امتناع إطلاق لقب (ابن الله) تشريفًا على أيّ أحد - سواءٌ كان (عزير) أو اليهود عامّة - من دون ورودها في الشّرع، لما في التّوسع من إطلاق الأسماء المختلفة عليه تعالى من المفاسد الجمّة.

٤- إنّ القول بالبُنوّة على نحو الحقيقة الّتي يريدها النّصارى، تقتضي وجود سنخيّة بين الابن والآب، إذ لا يمكن وجود سنخيّة بين الممكن الفقير العاجز المحتاج، وبين الواجب الغنيّ المطلق.

٥- كَشَفَ بعض المفسّرين - الإماميّة- اضطراب معنى البنوّة في نصوص العهدين، فمرّة تُريد بالبنوّة التّشريف والاعتبار، وأخرى الحقيقة التي لا تقبل التأويل والمجاز، مما

أفقد العقيدة رسوخها، التي يجب أن تتّصف به عقيدة كلّ ملّة.

٦- جمع بعضٌ آخر، مجموعة النّصوص المقدّسة النّافية للبنوّة الحقيقيّة، فوضعها في قبال الأُخر التي تزعم البنوّة الحقيقيّة، فألزم النّصارى تأويل كلّ النّصوص التي ظاهرها الحقيقة، وصرفها الى المجاز والتّشريف.

هوامش البحث

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير البيروتي، ص ١٧٣ - ١٧٤ ؛ وأنظر: العقائد الوثنية في الديانة اليهودية، حسن الباش، ص ٢٥.

(٢)انظر: الكهانة العربية قبل الإسلام، توفيق فهد، ترجمة حسن عودة، ص ٤٢.

(٣) المسيح في الإسلام، الشيخ أحمد ديدات، ترجمة وتعليق: محمد مختار، ص٩٥.

(٤) انظر: أصول الايمان، عبد السلام لوديي، ص ٢٢ .

(٥) انظر: القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، حسن الباش، ٢/ ٧٦.

(٦) انظر: عزرا في الديانات الإبراهيمية، وليد البعاج، ص ٢٤٥.

(٧) تثنية ١٤: ١.

(٨) خروج ٤: ٢٢.

(٩) انظر: إرميا ٤: ٢٢؛ صموئيل الثاني ٧: ١٤ إشعيا١: ٢؛ سفر الحكمة ٩: ٧و١٢؛ وانظر التلمود، آ.كوهن (دكتور في الفلسفة وحاخام كنيس برمنغهام)، ترجمة: جاك ما رتي، تعريب: سليم طنوس، ص٧٠ وما بعدها.

(١٠) انظر: قاموس الكتاب المقدس، د. بطرس وآخرون، ص ١٠٨.

(١١) انظر: يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه، الأب بولس إلياس اليسوعي، ص ٧٤ - ٧٥ ؛ وانظر: شرح أصول الإيمان، د. القس أندراوس واطسون ود ٠ القس ابراهيم سعيد، ص٥٢٧.

(١٢) انظر: المسيح ابن الله، القمص زكريا بطرس، ص ١٥.

١٣ انظر على سبيل المثال لا الحصر: مت٣: ١٧؛ مت١٧: ٥؛ لو٣: ٢٢، يو١: ١٨؛ يو٣: ٣٥-٣٦.

(١٤) انظر: كتاب لاهوت المسيح، البابا شنودة الثالث، ص٢٤.

(١٥) اش٦٤: ٨

(١٦) انظر: كتاب لاهوت المسيح، البابا شنودة الثالث، ص٢٤.

(١٧) جاء في انجيل متى : "فَمَزَّقَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلًا: «قَدْ جَدَّفَ! مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟ هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ!" (مت ٢٦: ٦٥).

(١٨) انظر: مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، ج١، ص: ٢٩٣

(١٩) فرّق أهل اللغة بين المفردتين، فالولد يقتضي الولادة ولا يقتضيها الابن، والابن يقتضي أبًا، والولد يقتضي والدا، ولا يسمى الانسان والدًا إلا إذا صار له ولد، وليس هو مثل الأب لانهم يقولون في التكنية أبو فلان وإن لم يلد فلانا، ولا يقولون في هذا والد فلان. والفرق بين الابن والولد: الأوّل للذكر، والثاني يقع على الذكر والأنثى، والنسل والذرية يقع على الجميع.(انظر: الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ص ،١٢ - ١٣ .)

(٢٠) البقرة: ١١٦.

(٢١) انظر: التّبيان في تفسير القران، الشيخ الطوسي، ١/ ٤٢٦؛ الأمثل، الشيخ الشيرازيّ، ١/ ٣٥٠.

(٢٢) انظر: آلاء الرحمن في تفسير القران، الشيخ البلاغي، ١/ ١٢٠ .

(٢٣) الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٢٦١/١.

(٢٤) انظر: روح المعاني، الآلوسي، ١/ ٥٨١؛ تسنيم في تفسير القران، الآملي، ٦/ ٣٣٨.

(٢٥) تسنيم في تفسير القران، الآملي، ٦/ ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٢٦) التوبة: ٣٠.

(٢٧) انظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ٥/ ٣٦؛ تفسير نور الثقلين، الحويزي، ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٢٨) ذهب المهتدي الحبر اليهودي (السموأل بن يحيى) بأنَّ عزير القرآني غير عزرا الكاتب، ويستدلّ بأنَّ العزير إذ عرّب فإنَّ أصله من (العازار)، أما (عِزرا) إذا عُرّب لن يتغير حاله، فيبقى (عزرا). (انظر: إفحام اليهود، السموأل بن يحيى، ص ١٥٢-١٥٣)

(٢٩) جاء ذكر نسب عزرا الكاهن في العهد القديم، وتحديداً في سفر عزرا، ونسبه الى نبي الله هارون عليه السلام. على النّحو الآتي:" عَزْرَا بْنُ سَرَايَا بْنِ عَزَرْيَا بْنِ حِلْقِيَّا، بْنِ شَلُّومَ بْنِ صَادُوقَ بْنِ أَخِيطُوبَ، بْنِ أَمَرْيَا بْنِ عَزَرْيَا بْنِ مَرَايُوثَ، بْنِ زَرَحْيَا بْنِ عُزِّي بْنِ بُقِّي، بْنِ أَبِيشُوعَ بْنِ فِينَحَاسَ بْنِ أَلِعَازَارَ بْنِ هَارُونَ الْكَاهِنِ الرَّأْسِ."( ) (عزرا ٧: ١ - ٦.)

(٣٠) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ٦٢١ - ٦٢٢.

(٣١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٦٢١.

(٣٢) خروج ٤: ٢٢-٢٤.

(٣٣) كتابات عزراوية، رؤيا عزرا اليونانية، بولس الفغالي، ص ١٨٠.

(٣٤) انظر: عزرا في الديانات الإبراهيمية، وليد البعاج، ص٢٤٨.

(٣٥) انظر: موسوعة اليهود والتوراة في سور القرآن، د. عبد المنعم الحفني، ص ٤٧٠.

(٣٦) الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، عبد المجيد الشرفي، ص ١١٣.

(٣٧) انظر: الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ٩ / ٥٠٩.

(٣٨) مريم: ٨٨ - ٩١.

(٣٩) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ١٤/ ١١١

(٤٠) التّفسير الكاشف، ٥ / ٢٠١.

(٤١) البقرة: ١١٦

(٤٢) مجمع البيان في تفسير القران، ١/ ٣٦٥.

(٤٣) التّبيان في تفسير القرآن، ٤٢٧/١.

(٤٤) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص: ٤١٠ – ٤١١.

(٤٥) الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٢٦٢

(٤٦) الميزان في تفسير القرآن، ج١، ص: ٢٦٢؛ وانظر: الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٨٧ – ٢٨٨.

(٤٧) انظر: الميزان في تفسير القرآن، ٢٩٢/٣؛ الرحلة المدرسيّة والمدرسة السيّارة في نهج الهدى، البلاغي، ٤٨/١.

(٤٨) انظر: المصدر نفسه، ٦ / ٧٧.

(٤٩) المصدر نفسه، ج٦، ص: ٧٧

(٥٠) من أجمل ما يُستشهد به في بيان هذا الدليل، هو قول الامام علي عليه السلام في وصف الخالق (عز وجل): "بائن عن خلقه، بينونة صفة لا بينونة عزلة" (الاحتجاج، الطبرسي، ١/ ٢٩٩) ومعناها أن صفات الله تعالى مباينة لصفات خلقه، ولكنه ليس معزولاً عن خلقه وذلك لأن ربوبيته للخلق تقتضي الاحاطة بهم والقرب، وهو تبارك وتعالى أقرب إليهم من حبل الوريد.

(٥١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص: ٥٥؛ وانظر: من هدى القرآن، السيد المدرسي، ج٧، ص:٤٤.

(٥٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢١ / ١٩٣.؛ وانظر: منهج الرازي في الرد على النصارى، رسالة ماجستير (تخصص مقارنة الأديان)، سميحة الواحدي، كلية الاجتماعية والاسلامية، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر،٢٠١٠م. ص ٩٤.

(٥٣) سورة مريم : ٣٥

(٥٤) انظر: الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن و السنة، ١٨/ ٣١٩ – ٣٢٠؛ وانظر: المباحث المشرقية في علم الإلهيات والطبيعيات، الفخر الرازي، ٢/ ٤٨٧ – ٤٩١.

(٥٥) الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن و السنة، ١٨/ ٣٢٠؛ وانظر: عقائدنا، ص ١٢٠ – ١٢٤.

(٥٦) سورة مريم : ٣٥

(٥٧) انظر: الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج١، ص:351 - ٣٥٢ .

(٥٨) التّفسير الكاشف، ج١، ص: ١٨٧(٥٨)

(٥٩) انظر: الأمثل فى تفسير كتاب الله المنزل، ج٩، ص: ٤٤٥.

(٦٠) تسنيم في تفسير القرآن، الآملي، ٦/ ٣٤٧.

(٦١) تسنيم في تفسير القرآن، الآملي، ٦/ ٣٤٧.
(٦٢) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد طاهر التنير البيروتي، ص ١٧٣ - ١٧٤ ؛ وأنظر: العقائد الوثنية في الديانة اليهودية، حسن الباش، ص ٢٥.
(٦٣) ينظر: معجم اللاهوت الكتابي، الأب فاضل اليسوعي (وآخرون)، أشرف على الترجمة انطونيوس نجيب، ص٢١.
(٦٤) موسوعة العلامة البلاغي (الرحلة المدرسية)، ٥ / ٣٥٣.
(٦٥) انظر: موسوعة العلامة البلاغي (الرحلة المدرسية)، ٥ / ٣٥٣.
(٦٦) الخروج ٤: ٢٢- ٢٣؛ وانظر: سفر أخبار الأيام الأوّل ٢٨ :٦.
(٦٧) متى ٥: ٩.
(٦٨) انظر: يوحنا ١ :١٢ - ١٣؛ رسالة يوحنا الأولى ٥: ١-٢ ؛ رومية ٨ : ١٤ -١٦.
(٦٩) انظر: موسوعة العلامة البلاغي (الرحلة المدرسية)، ٥ / ٣٥٤.
(٧٠) إشعياء ٩: ٦.
(٧١) يوحنا ١٠: ٣٣-٣٧؛ وانظر: رسالة العبرانيين ١: ٣.
(٧٢) موسوعة العلامة البلاغي (الرحلة المدرسية)، ٥ /.٣٥٤.
(٧٣) مت ٣: ١٧.
(٧٤) انظر: موسوعة العلامة البلاغي (الرسائل الكلامية)، ٦/ ٢٢٣.
(٧٥) التثنية ١٤: ١.
(٧٦) عبر١: ٥.
(٧٧) مزمور ٢ : ٧.
(٧٨) موسوعة العلامة البلاغي (الرسائل الكلامية)، ٦/ ٢٢٣.
(٧٩) (٢ صم ٧: ١٤).
(٨٠) انظر: موسوعة العلامة البلاغي (الرسائل الكلامية)، ٦/ ٢٢٣.
(٨١) صموئيل الثاني٧ : ١٢ - ١٦.
(٨٢) تأريخ الأيّام الأول٢٢: ٩-١٠؛
(٨٣) يوحنا ٩: ٣٥ -٣٨.
(٨٤) موسوعة العلامة البلاغي (الرسائل الكلامية)، ٦/ ٢٢٤.
(٨٥) انظر:الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٨٤
(٨٦) اعتمد السيد الطباطبائي في استشهاداته من الكتاب المقدس على النسخة العربية المطبوعة سنة (١٨١١م)، والمعروفة بنسخة "نيو كاسل" وهي من الترجمات القديمة والأثرية.
(٨٧) انظر : الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٨٤ - ٢٨٥.

(٨٨) متى : الفصل الخامس. " فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ."(متى ٥: ١٦)

(٨٩) متى : الفصل السادس . في الفاندايك " احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ." (متى ٦: ١)

(٩٠) الميزان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٢٨٥ – ٢٨٦

(٩١)يوحنا: الفصل الثامن." لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَتَيْتُ. لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي."(يوحنا ٨: ٤٢)

(٩٢) يوحنا: الفصل العاشر." أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ"(يوحنا ١٠: ٣٠)

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدّس

١. أصول الايمان، عبد السلام لوديي، ط٢، (د.م)، ٢٠٠٤ م.

٢. آلاء الرحمن في تفسير القرآن. محمّد جواد البلاغي (١٣٥٢ هـ). تحقيق: مؤسسة البعثة/شعبة التحقيقات الإسلاميّة. ط١. إيران – قم المقدسة: (د.ت).

٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. ناصر مكارم شيرازي. ترجمة : محمّد علي آذرشب. مدرسة الإمام علي بن أبي طالب(عليه السلام).ط١. إيران – قم المقدسة: ١٤٢١ هـ.

٤. التبيان في تفسير القرآن. محمّد بن الحسن الطوسي (ت:٤٦٠ هـ). تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي. ط١. دار إحياء التراث العربي. بيروت: 1209هـ.

٥. تسنيم في تفسير القرآن. الشّيخ عبد الله الجوادي الطبري الآملي. تعريب: السّيّد عبد المطلب رضا. تحقيق: الشّيخ عبد المنعم الخاقاني. ط٢. دار الأسراء. بيروت: ١٤٣٢هـ.

٦. التّفسير الكاشف. محمّد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠ هـ). ط١. دار الكتاب الإسلامي. إيران – قم المقدسة: ١٤٢٤ هـ.

٧. تفسير نور الثقلين. الحويزي. عبد علي بن جمعة(ت: ١١١٢ هـ).ط٤. تحقيق وتصحيح: هاشم الرسولي. مؤسسة إسماعيليان. إيران – قم المقدسة: ١٤١٥ هـ.

٨. التلمود، آ.كوهن (دكتور في الفلسفة وحاخام كنيس برمنغهام)، ترجمة: جاك ما رتي، تعريب: سليم طنوس، دار الخيال، بيروت، ٢٠٠٥م.

٩. رسول الإسلام في الكتب السماويّة.. محمّد صادقي تهراني (ت:١٤٣٢ هـ). دار شكرانة للتراث الإسلامي. إيران - قُم المقدسة: ١٤٣٧ هـ.

١٠. شرح أصول الإيمان، د. القس أندراوس واطسون ود ٠ القس ابراهيم سعيد، ط ٤، دار الثقافة المسيحية، القاهرة، (د. ت).

١١. الطباطبائي ومنهجه في التّفسير. د. علي الأوسي. معاونيّة الرئاسة للعلاقات الدوليّة في منظمة الاعلام الاسلامي. طهران: ١٩٨٥م.

١٢. العرب واليهود في التّاريخ. أحمد سوسة. ط٢. العربي للإعلان والنشر.(د.ت).

١٣. عزرا في الديانات الإبراهيميّة. وليد البعاج. ومضات للترجمة والنشر. بيروت: ٢٠١٩م.

١٤. العقائد الوثنية في الديانة النّصرانيّة، محمّد طاهر التنير البيروتي، تحقيق: د. محمّد عبد الله الشرقاوي، دار الحوة للنشر، القاهرة.

١٥. العقائد الوثنية في الديانة اليهودية، حسن الباش، دار قُتيبة، بيروت، ١٤١١هـ.

١٦. عقائدنا (بحوث مقارنة بصورة الحوار بين القرآن التوراة والإنجيل). صادقي تهراني. محمّد (ت:١٤٣٢هـ).ط٢. دار شكرانة للتراث الإسلامي. إيران - قُم المقدسة: ١٤٣٧ هـ.

١٧. الفرقان في تفسير القرآن بالقرآن والسنة. الشّيخ محمّد الصادقي (ت:١٤٣٢ هـ). دار التراث الاسلامي. ط٢. إيران - قم المقدسة: ١٤٠٦ هـ .

١٨. الفكر الإسلامي في الرد على النّصارى الى نهاية القرن الرابع/ العاشر، د.عبد المجيد الشرفي. الدار التونسيّة. تونس. ١٩٨٦م.

١٩. قاموس الكتاب المقدس. تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين. ط٦. منشورات مكتبة المشعل. بيروت: إشراف رابطة الكنائس الإنجيليّة في الشرق الأوسط. ١٩٨١م.

٢٠. القرآن والتوراة أين يتفقان وأين يفترقان، حسن الباش، دار قتيبة، بيروت،٢٠٠٠م.

٢١. كتاب لاهوت المسيح، البابا شنودة الثالث، ط٢،مطبعة مطبعة الأنبا رويس (الأوفست) بالعباسية، القاهرة، ١٩٢٢م.

٢٢. الكهانة العربية قبل الإسلام، توفيق فهد، ترجمة حسن عودة، دار سندباد، باريس، ٢٠٠٧، ص٤٢.

٢٣. مجمع البيان في تفسير القرآن. الطبرسي. الفضل بن الحسن (ت:٥٤٨ هـ). تحقيق وتصحيح: اليزدي الطباطبائي. فضل الله. هاشم الرسولي.ط٣. نشر: ناصر خسرو. طهران: ١٤١٣هـ.

٢٤. المسيح ابن الله، القمص زكريا بطرس، مكتبة المحبة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٢٥. المسيح في الإسلام، الشّيخ أحمد ديدات، ترجمة وتعليق: محمّد مختار، مكتبة ديدات،(د.ت)،(د.م).
٢٦. معجم اللاهوت الكتابي، الأب فاضل اليسوعي (وآخرون)، أشرف على الترجمة انطونيوس نجيب، دار المشرق، ٢٠١٤م.
٢٧. مفاهيم القرآن. جعفر السُّبحاني التبريزي. مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.ط٤. إيران - قم المقدسة: ١٤٢١هـ.
٢٨. المقارنات بين الكتب السماويّة. صادقي تهراني. محمّد (ت:١٤٣٢هـ). منشورات جامعة علوم القرآن. إيران. (د.ت).
٢٩. من هدى القرآن. السيد محمّد تقي المدرسي. دار محبي الحسين. ط١. طهران: ١٤١٩ هـ.
٣٠. من وحي القرآن. محمّد حسين بن عبد الروف فضل الله. دار الملاك. ط١. بيروت: ١٤١٩ هـ.
٣١. منهج الرازي في الرد على النّصارى، رسالة ماجستير (تخصص مقارنة الأديان)، سميحة الواحدي، كلية الاجتماعية والاسلامية، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر،٢٠١٠م.
٣٢. مواهب الرحمان في تفسير القرآن. الموسوي السَّبزوَاريّ. عبد الأعلى.١٤١٤ هـ. ط٢. مؤسسة أهل البيت عليهم السلام. ١٤٠٩هـ.
٣٣. موسوعة العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي، تحقيق: محمّد الحسّون، ط٢، مركز إحياء التراث الإسلاميّ، مطبعة الباقري. إيران - قم المقدّسة. ١٤٣١هـ.
٣٤. موسوعة اليهود والتوراة في سور القرآن، د. عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٣م.
٣٥. الميزان في تفسير القرآن. الطباطبائي. محمّد حسين (ت: ١٤٠٢ هـ). ط٢. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت: ١٣٩٠ هـ.
٣٦. الهدى إلى دين المصطفى. محمّد جواد البلاغي (ت: ١٣٥٢ هـ).ط٣. مؤسسة الأعلمي. بيروت: ١٤٠٥ هـ.
٣٧. يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه، الأب بولس إلياس اليسوعي، ط٢، نشر المطبعة الكاثوليكية، بيروت،(د.ت).
٣٨. اليهود عقائدهم الدّينيّة وعباداتهم. ألان أنترمان. ترجمة: د. عبد الرحمن عبد الله الشّيخ. الهيئة المصريّة العامة للكتاب. القاهرة:٢٠٠٤ م